ثقافة الشهادة

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ

إعداد

رابطة علماء اليمن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] والصلاة والسلام على سيد البشرية وقائد الإنسانية نبي الرحمة ورسول الهدى محمد، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار وعلى الشهداء الأبرار، وبعد:

في ظل استمرار العدوان السعودي على بلادنا، ونحن نعيش أجواء الشهادة والاستشهاد الفعلي، وقوافل الشهداء ما زالت تسير ولا تتوقف وروضات الشهداء لا تَمَلُّ من استقبالهم، لابد لنا أن نتعرف على ثقافة الشهادة بوعيٍ وبصيرة؛ فالشهداء مثلما دافعوا وجاهدوا عن المستضعفين، ووقفوا بكل صلابة أمام العدوان وحطموا كبرياءه ومرغوا أنفه في التراب، وجعلوه يجر خلفه أذيال الهزيمة في مختلف الجبهات وفي الحدود، فهم أيضًا يبعثون العزيمة وينفخون روح الجهاد ونخوة الرجولة في الناس

من بعدهم، ويسلمون الراية إلى الأحياء في الدنيا من المجاهدين ليكملوا مشوار النصر، حتى يتحقق ببركة دمائهم وجهاد من بعدهم الوعد الإلهي بالتمكين لبسط الحق والعدل في أرجاء الدنيا وأصقاع الأرض.

ولأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ما زالوا يؤثرون في مسار الأحداث، فلا نتكلم عنهم بصيغة الماضي بل بصيغة الحاضر والمستقبل، كي نستلهم الدروس منهم ونتلمس القدوة فيهم، ونعاهدهم بأن نمضي على دربهم ونمشي في طريقهم وأن لا نبدل بعدهم.

وهذا المنشور الذي بين أيديكم يتحدث عن ثقافة الشهادة إحدى الحسنيين اللتين شملتهما الآيتان الكريمتان في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[الأحزاب : ٢٣] وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة : ٥٢].

عظمة الشهادة

للشهادة في سبيل الله تعالى أبعاد كثيرة، منها أنها كرامة للشهيد فهي اختيار واصطفاء إلهي له، ولذا نغبط الشهداء الذي فازوا بالشهادة ونفرح لفوزهم بالاصطفاء في نفس الوقت الذي نحزن لسقوطهم ونتألم لأنهم خسارة علينا وعلى المجتمع، الذي يفقد أعظم رجاله وخيرة أبنائه، ولا يتنافى هذا الشعور بالحزن والألم مع افتخارنا واعتزازنا بهم وبذلنا لأنفسنا وللمزيد منهم، ولا مع الانجازات التي حققوها لمن بعدهم.

ومن أبعاد الشهادة أيضاً أنها حجة على الناس وشهادة عليهم، فالشهيد أدّى ما

عليه من واجب وبذل روحه بعد أن جاهد في سبيل الله، فهو حجة على القاعد في المجتمع الذي وجب عليه الجهاد في سبيل الله وخصوصاً جهاد الدفع المتمثل في مقاومة ومواجهة الغزاة والمعتدين كما هو الحال في مواجهة العدوان السعودي الأمريكي.

ومن أبعاد الشهادة كذلك التأكيد على مظلومية المستضعفين الواعين وبالذات الشهيد منهم، حيث أنه واجه المعتدين والغزاة والمجرمين فقُتل مظلومًا، وهو يؤدي واجبه وما افترض الله تعالى عليه مدافعًا عن دينه وبلده ونفسه، وشهادته ترسخ إلى حدٍّ بعيد مظلوميته ومظلومية المجتمع الذي يدافع عنه وعدالة القضية التي يحملها.

وتتجلى عظمة الشهادة في جوانب متعددة وكثيرة منها:

أولاً: الشهادة خير خاتمة

يطلب المؤمنون لأنفسهم دائماً من الله تعالى ويسألونه حسن الخاتمة بأن يجعل خير أعمالهم خواتمها، بمعنى أن يختم سبحانه أعمارهم وهم في عمل صالح وأن لا يميتهم إلا وهو راضٍ عنهم، ويدعون لغيرهم أيضاً بحسن الخاتمة خصوصًا لكبار السن من الشيوخ والعجائز، وللمريض بمرض خطير ومؤلم ميؤوس من شفائه، ويعتقد بعض الشباب الأصحاء الأقوياء الذين في مقتبل العمر أنهم ليسوا بحاجة لحسن الخاتمة لأن العمر المديد أمامهم كما يتصورون، وبعضهم يقول لمن دعا له بحسن الخاتمة : وهل أنا شائب وطاعن في السن حتى تدعو لي بذلك؟ متناسيًا أن الموت لا يُفرِّق بين شيخ كبير وشاب قوي، وأن الخاتمة هي خاتمة العمر سواء طال أم قصر.

والجهاد في سبيل الله تعالى هو من أفضل الأعمال التي يلقى المؤمن بها الله تعالى، والشهادة أفضل خاتمة يختم الله بها للمجاهدين الذين هم خاصة أوليائه، وأكثر من ينالها هم الشباب المؤمنون باعتبارهم أكثر من ينطلق إلى ميادين الجهاد.

ثانيًا: الشهادة ليست نقصاناً من العمر

يظن الكثير من المتقاعسين عن الجهاد في سبيل الله والقاعدين أن من يذهب إلى جبهات القتال ليقاتل في سبيل الله يُقتل ومن يقعد يسلم، لأن الجبهات فيها المعارك والقتال والأسلحة ونقاط التماس مع العدو والمواجهة الشرسة معه في الخطوط الأمامية، ولا يوجد مثل ذلك بالنسبة للقاعد في بيته الذي آثر السلامة والحياة الدنيا على الآخرة، متناسين قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] ولكم رأينا مصداق هذه الآية الكريمة في الواقع واضحًا وجليًا من خلال قتلى قصف الطائرات وضحاياها في البيوت والتجمعات السكانية الذين هم أكثر من الشهداء في الجبهات وبالمثل صرعى حوادث السيارات أكثر والذين يموتون بالأمراض والجلطات أكثر.

فالشهادة في سبيل الله على ضوء الآية الكريمة ومضمونها ليست نقصانًا من العمر، بل خاتمة له كما ذكرنا في العنوان السابق، وقد حدث كثيرًا أن قام بعض الآباء والأمهات باسترجاع أبناءهم المجاهدين من الجبهات خوفًا عليهم من القتل، فقُتلوا أمام أنظارهم بقصف أو حادث أو مرض مميت.

ثم لو افترضنا أن مجاهداً في سبيل الله استشهد، وشخصاً آخراً قعد ولم يجاهد تعمَّر وعاش بعده، فكم المدة التي سيعيشها هذا القاعد ؟ سنة أو عشراً أو عشرين أو أكثر من ذلك أو أقل، في النهاية أليس مصيره الموت الحتمي بعد حياة قليلة كان

فيها عاصٍ لله تعالى بتركه الجهاد في سبيله!؟

ألم يردَّ الله تعالى على القاعدين الذي يظنون الشهادة في سبيل الله نقصًا من الأعمار وأن في القعود نجاة من الموت المحتم بقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[آل عمران: ١٦٨] وبقوله سبحانه مخاطبًا هذا الصنف من الناس: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٦].

ثالثًا: الشهادة حياة وليست موتًا

عندما دعا الله سبحانه وتعالى المؤمنين للدفاع عن أنفسهم والجهاد بالمال والنفس في سبيله إنما دعاهم إلى الحياة ولم يدعهم إلى الموت يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] فالدعوة إلى الجهاد هي دعوة للحياة الكريمة والعزيزة والطيبة، ومن يستشهد من المجاهدين فهو إنما يَعْبُر بالشهادة من الحياة الدنيا الفانية والزائلة إلى الحياة الكريمة الخالدة في الآخرة، ولذا نهى سبحانه عن مجرد القول للشهداء إنهم أموات، وعدّ ذلك معصية وذنباً وكذباً وافتراءً لأنهم في الحقيقة أحياء، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤] بل نهى عن مجرد الظن والتصور والاعتقاد داخل النفس أنهم أموات حيث يقول:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

والسؤال هنا: هل نؤمن حقًا بأن الشهداء أحياء يُرزقون؟

صحيح أننا نؤمن بنص الآية الكريمة ولفظها، لكن التصديق الكامل والإيمان الصادق الحقيقي بحياة الشهداء وواقعية هذه الحياة وبدون أدنى شك هو المطلوب، فقد آمنا بما هو أعظم من حياة الشهداء بعد استشهادهم وقتلهم، فآمنا بيوم القيامة وأن الله يبعث من في القبور ويحيي العظام وهي رميم، وآمنا بالجنة وبالنار ولم نرهما وكلها بالنسبة لنا من المستقبل وآمنا بالغيب، فكيف لا نوقن أن الشهداء أحياء وأن الشهادة حياة، والقرآن الكريم قد أخبرنا بذلك.

فلو عاد شهيد تمزقت أشلاؤه أو تفحم جثمانه إلى الدنيا ليخبرنا بهذه التفاصيل من حياة الشهداء، ويقول لنا أنه بعد أن استشهد هو ورفاقه لم يموتوا، وإنما انتقلوا إلى حياة كريمة عند الله تعالى، وأنهم فرحون ومسرورون ومبتهجون بما نالوا من الفضل والكرامة، ومستبشرون برفاقهم من المجاهدين متى يلحقوا بهم، وليسوا نادمين على تضحياتهم، بل يتمنون العودة إلى الدنيا ليلتحقوا مرة أخرى بجبهات القتال طمعًا في الشهادة مرة ثانية وثالثة وعاشرة لصدقناه، وإخبار القرآن الكريم في آياته أبلغ وأصدق مما لو حدث ذلك حقيقة وما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الشأن كذلك، كقوله: (مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَيُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ إلاّ الشَّهِيدُ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلُ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ).

ويمكن توضيح الفرق المعنوي بين الشهيد والميت، في أن الشخص غير المجاهد يحاول الهروب من الموت بكل الطرق وشتى الوسائل ولعل هذا هو السبب في تركه الجهاد مخافة ذلك، فإذا أصابه مرض سارع إلى الأطباء والمستشفيات

مخافة أن يهلك، وربما يبيع «ما فوقه وما تحته» كما يقال ويسافر إلى الخارج لتلقي العلاج، وربما يستدين المال الكثير من أجل ذلك، والبعض يصل به الحال إلى مد يده للناس ليتصدقوا عليه بسبب مرضه وحاجته للعلاج، وكل هذا التصرف فطري على كل حال لكن لتبيين الفرق بين الشهيد والميت.

فالميت كان يسعى للحياة بأي ثمن ومع ذلك يموت رغم أنفه، بينما الشهيد كان في بيته صحيحًا معافى، فانطلق مجاهدًا في سبيل الله بعد أن وطّن نفسه على النصر أو القتل في سبيل الله ونيل الشهادة، وبعد أن أوصى أهل بيته بأنه لن يعود من الجبهة إلا حاملًا راية النصر أو محمولاً في نعش الشهادة، وأوصي أمه أو زوجته وقريباته بأن يزغردن إذا عاد شهيدًا وبأن يُزَفَّ إلى روضة الشهداء كما يُزفَّ العريس وهذا ما نشاهده كثيرًا في تشييع الشهداء، ثم انطلق إلى جبهة القتال متسلحًا بالإيمان واثقًا بنصر الله تعالى وموقنًا بفضل الشهادة، وهو يعرف ماذا تعني جبهة القتال من شراسة المعارك ومواجهة أعتى الطغاة وأحدث وأفتك الأسلحة في العالم، فخرج من بيته مختارًا للشهادة من تلقاء نفسه ولا دافع له إلا رضا الله تعالى عليه، وحين يسقط شهيدًا في الميدان فهو حيٌ لأنه اختار لقاء الله تعالى فاختاره الله، ولا أحد يسارع للموت من أجل الموت بل الجميع يسارعون إلى الحياة، إما أن يسارعوا إلى بقية من الحياة الدنيا ويحرصون على الحياة فيها كما يفعل من يتشبث بالحياة الدنيا والذي ينتهي به المطاف مهما طال العمر إلى الموت أو أن يسارعوا إلى حياة أبدية كريمة كما هو حال المجاهدين والشهداء.

فالشهادة انتقالٌ من الحياة الدنيا إلى الحياة العليا الكريمة عند الله تعالى بكل سلاسة؛ يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لاَ يَهُونُ عَلَى مُسْلِمٍ خُرُوجُ نَفْسِهِ

مِثْلَ مَا يَهُونُ عَلَى الشَّهِيدِ).

وقد قدم القرآن الكريم شرحاً وافياً عن واقع حياة الشهداء، وذكر تفاصيل دقيقة عن شعورهم وفرحتهم واستبشارهم بإخوانهم من رفاقهم من المجاهدين الذي لم يلحقوا بهم بأن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فالشهداء أحياء بكامل قواهم العقلية وإدراكهم الحسي وشعورهم الكامل ووعيهم لواقع قضيتهم، فهم فرحون ومستبشرون ومنتظرون لرفاقهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم متى يرحلوا إليهم بالشهادة، لينالوا من ذلك النعيم والرزق الطيب، ويؤكدون على صوابية الدرب الذي سلكوه والطريق التي مشوها وعدالة القضية التي ضحوا من أجلها.

رابعًا: الشهادة ربح صافٍ واستثمار مضمون

ما أعظم الفوز الذي يناله الشهيد وما أربح التجارة التي تاجر بها من حيث أن الشهادة حسن خاتمة وليست نقصانًا من العمر ولا موتًا بل حياة كريمة عند الله تعالى، فهي إذًا ربح صافٍ، هذا أولاً.

ثانيًا: القتال في سبيل الله تعالى هو متاجرة مع الله تعالى بالنفس والمال يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]

فالجهاد فرصة عظيمة لبيع النفس والمال من الله تعالى وعقد صفقة رابحة معه، فالنفس والمال هي البضاعة والثمن الجنة والبائع هو المجاهد والمشتري هو الله سبحانه، وعقد البيع موثق في القرآن الكريم في الآية السابقة، فالثمن عظيم وكبير جدًا مقابل البضاعة التي ما كان أن يُصبح لها هذا الثمن لولا الجهاد في سبيل الله، الذي هو في حد ذاته ضرورة لنا ومكاسبه عائدة علينا.

والشهادة على هذا الاعتبار أيضًا ربح صافٍ والجهاد في سبيل الله استثمار مضمون، بالإضافة إلى أن عملية البيع والشراء تمت في الحياة الدنيا الفانية، والشهيد لم يمت بل حي يُرزق عند الله تعالى ومستبشر بالجنة، ويوم القيامة يستلم الثمن بدخول الجنة بغير حساب وغيره من الموتى يُبعثون للحساب وينتظرون مصيرهم إما إلى الجنة أو إلى النار.

وماذا يريد الناس من عبادتهم لله تعالى، أليسوا يطلبون الجنة ويطمعون فيها ويخافون من النار ويستعيذون منها؟ وهناك من يعبد الله تعالى عقودًا من الزمن ويأتي موقف جهادي واحد يفضل كل تلك العبادة، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (لَنَوْمَةٌ فِي سَبِيلِ اللهَّ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً فِي أَهْلِكَ، تَقُومُ لَيْلَكَ لاَ تَفْتُرُ وَتَصُومُ نَهَارَكَ لاَ تَفْطِرُ) وقال: (مَقَامُ الرَّجُلِ فِي الصَّفِّ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ رَجُلٍ سِتِّينَ سَنَةً) وقال: (لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ الله أَوْ غَدْوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا) وقال: (مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللهَّ فَطَعِمَتْهُ النَّارُ).

ثالثًا: الله تعالى هو خالق النفوس ومالكها ومع ذلك اشتراها سبحانه بثمن عظيم، وهو غني عنها غير محتاج لها ولا لجهاد المجاهدين ولا لتضحيات الشهداء

لأنه الغني، ومع ذلك اشتراها بالجنة.

بخلاف المرتزقة والخونة والعملاء، الذين باعوا أنفسهم من الأمريكي والإسرائيلي والسعودي والإماراتي، مقابل ثمن بخس ريالات سعودية معدودة أو دولارات أمريكية قليلة، وبأقلَّ من أرش الإصبع الواحدة، والذي اشتراهم هو بحاجة ماسة إليهم لأنه في الميدان جبان وضعيف، فاشتراهم ليقاتلوا بالنيابة عنه ويُقتلون من أجله، وإذا تراجعوا قتلهم هو وقصفهم بطائراته لأنه يعتبرهم ملكه وعبيده فيخسرون الدنيا والآخرة.

رابعًا: إذا كانت الحسنة بعشر أمثالها في الطاعات والعبادات، وبسبعمائة ضعف في قضية إنفاق المال في سبيل الله لأن المال محبب إلى النفس وشيء له قيمة مباشرة في الحياة لذا يبخل به كثير من الناس، فكيف أجر من بذل نفسه وروحه في سبيل الله تعالى؟.

خامساً: الشهادة أمنية شخصية لأولياء الله فقط

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ويقول سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ردَّ الله تعالى على زعم اليهود بأنهم أولياء الله وأن الآخرة خالصة لهم من دون الناس وليست عليهم بأن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين في زعمهم، لأن اليقين بالفوز في الآخرة وضمانها مما يدفع الإنسان إلى تمني الوصول والانتقال الفوري إليها، وهذا هو حال أولياء الله تعالى، أما غيرهم فعدم تمنيهم

للموت بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال السيئة وارتكابهم للجرائم والفضائع وظلمهم وانحرافهم، دليل على كذب مزاعمهم بأنهم أولياء الله وأن الاخرة لهم .

ونحن كمسلمين فتح الله تعالى لنا بابًا لنتمنى لقاءه - كما فتحه لسائر عباده من الأولين - وهو الشهادة في سبيله، وربط الجهاد والشهادة مباشرة بالآخرة والفوز بالجنة وهذا ما أكدته الآيات القرآنية الكثيرة التي تحدثت عن الجهاد في سبيل الله.

ومن ذا الذي لا يحب الفوز برضاء الله وبالجنة؟ وماذا يريد الناس غير ذلك من خلال تعبدهم لله تعالى؟ والشهادة هي اختصار للمشوار في الحياة ونيل المراد في الآخرة، وهي أمنية أولياء الله للوصول إلى مرحلة (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) من لحظة خروج أرواحهم حتى قيام الساعة، والانتقال إلى جنات النعيم بغير حساب.

ورغم عظمة الشهادة إلا أنها أمنية شخصية للشهيد المجاهد يتمناها لنفسه ولا يتمناها لغيره، وكذلك الناس في دعائهم إذ ليس من المنطقي أن يدعو الناس للمجاهدين بالشهادة إنما يدعون لهم بالنصر والتأييد والظفر ،والمجاهد هو من يطلبها من الله تعالى لنفسه ويدعو لرفاقه المجاهدين بالحفظ والصحة والنصر والسلامة، ومن أفضل الأدعية المأثورة للمجاهدين هو الدعاء لهم بالحفظ والتأييد والنصر.

ورغم عظمة الشهادة فتمنيها والسعي لنيلها وطلبها يجب أن لا يكون من باب اليأس من الدنيا، أو هروبًا من الواقع أو فرارًا من ضغوط الحياة المعيشية، ولا من باب الضعف والذلة والهزيمة والاستسلام، لأن ذلك ليس استشهادًا بل أشبه ما يكون بالانتحار.

وطلب الشهادة وتمنيها يجب أن يكون مترافقًا مع التنكيل بالأعداء، وبالصفة التي ذكرها الإمام زين العابدين في دعائه لأهل الثغور، بقوله: (فَإِنْ خَتَمْتَ لَهُ بِالسَّعَادَةِ وَقَضَيْتَ لَهُ بِالشَّهَادَةِ، فَبَعْدَ أَنْ يَجْتَاحَ عَدُوَّكَ بِالْقَتْلِ وَبَعْدَ أَنْ يَجْهَدَ بِهِمُ الاسْرُ، وَبَعْدَ أن تَأْمَنَ أَطرَافُ الْمُسْلِمِينَ، وَبَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ عَدُوُّكَ مُدْبِرِينَ).

الشهادة منزلة عظيمة يحظى بها المجاهد الصادق وإن لم يستشهد:

الشهادة ليست غاية في حد ذاتها بل هي وسيلة لنيل الغاية الحقيقة رضاء الله تعالى والجنة، فلا يمنحها الله تعالى إلا لمن شاء من أوليائه، وليست أيضًا شرطًا لرضاء الله تعالى بحيث من لم يحظ بها فهو مغضوب عليه، لأنها اختيار إلهي لمجاهدين دون آخرين يقول تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠] وليست في متناول الجميع بحيث يصبح بإمكانهم الحصول عليها بتدبير من عندهم، كأن يُعَرِّض المجاهد نفسه للعدو بغية أن يقتله حتى يحظى بها لأن هذا انتحار.

فالآيات القرآنية دائمًا ما تقرن المجاهدين الذين لم يحظوا بالشهادة بالشهداء في مسألة رضاء الله تعالى وبيع النفس منه، يقول سبحانه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ [الأحزاب: ٢٣] وهم الشهداء، ثم يتحدث عن الذين لم يحظوا بالشهادة بقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ وشرط على المجاهدين أن لا يُبدلوا فقط، فالدنيا بعد النصر تنفتح لهم وقد يسقط الإنسان في براثنها من حيث يشعر أو لا يشعر، ولهذا يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١] أيضاً يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ

وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ١١١] فذكر الله تعالى التجارة معه وبيع النفس والمال منه مقابل الجنة، ووعد بذلك في التوراة والإنجيل والقرآن ولم يشترط الشهادة للوفاء بالبيع بل اشترط عدم التبديل والانحراف والتواني عن الجهاد، لأن المجاهد حين يبيع نفسه من الله تعالى فالله عز وجل إما أن يختاره شهيدًا أو جريحاً صابراً أو يبقيه مجاهدًا منصورًا.

وطالما الأمر ليس بيد المجاهد فالبيع نافذ - وإن لم يحظ بالشهادة - حتى يلقى الله تعالى بالموت، وقد وضح ذلك أيضاً رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: (مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ).

سادساً: الشهادة استراتيجية أعجزت الأعداء

عندما يقوم العدو بتجنيد المرتزقة واستئجار جيوش كـ(الجنجويد)، ويستقدم شركات الإجرام كشركة (بلاك ووتر) و(داين جروب) الأمريكيتين، ويهول في الإعلام ويُضخم انتصارات وهمية، ويعتدي بأفتك الأسلحة الحديثة والمتطورة من طائرات الإف ستة عشر والأباتشي والبوارج والفرقاطات والقطع البحرية، وبالدبابات والمدرعات والآليات والصواريخ والقنابل الفراغية والعنقودية والفسفورية المحرمة دولياً، وغيرها مما وصلت إليه التكنولوجيا العسكرية فإنما يهدف إلى القتل، ولمعرفته أنه غير قادر على قتل كل المجاهدين لأنهم يضعون في حسبانهم ظروف المعركة فيهدف إلى التخويف بالقتل، لكسر الإرادات وتحطيم المعنويات وبث الهزيمة في صفوف المجاهدين، وخلخلة صمود المجتمع الجهادي.

وقد نجحت هذه الاستراتيجية من قبل العدو في هزيمة الكثير من الجيوش الأخرى واحتلال الكثير من الشعوب، ولكن هذه الاستراتيجية سقطت وفشلت أمام من يعشقون القتل في سبيل الله بعشقهم الشهادة، فيصبح ما يهدف إليه العدو هو نفسه ما يتمناه المجاهد في سبيل الله يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة : ٥٢]

وهذا ما يفسر صمود وصبر المجاهدين الأبطال تحت أمطار الصواريخ النازلة من سحب الطائرات المعادية، وأمام الزحوف الكبيرة والحشود من مرتزقة العدو المتدفقة كالسيول العارمة، فيكسرونهم بفضل الله تعالى ويثبتون أمامهم وينكلون بهم، لأنهم لا يهابون القتل وفي نفس الوقت لا يمكنون العدو من أنفسهم، فتراهم يتقنون استراتيجيات التمويه والتخفي والتواري الذي يُعرف بالدفاع السلبي في العلم العسكري، ويفاجئون العدو كالأسود فيقتحمون مواقعه ويلتحمون معه في ملاحم قَلَّ نظيرها في العالم والتاريخ، ولا يمنعهم امكانية أن يقتلهم العدو من الثبات والصبر فلا يفرون من معركة ولا يتراجعون في ميدان إلا من باب قوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ﴾ [الأنفال : ١٦].

سابعاً: الشهادة بركة في الذُرِيّة

يعتقد البعض أن الشهادة تضييع للأهل والأولاد أو نقص أو فناء الذرية وهذا غير صحيح، لأن الله تعالى يحفظ المجتمع المجاهد ويحميه وينميه ويبارك فيه ولا يضيع أسر الشهداء الأبرار، والملحوظ بوضوح في الواقع وعبر التاريخ أن أبناء الشهداء وآبائهم وإخوتهم وأسرهم بشكل عام يكون فيهم ومنهم البركة

في الذرية، يقول الإمام علي (ع) في هذا الشأن: (بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَبْقَى عَدَداً، وَأَكْثَرُ وَلَداً) وهذا ما تجسد فعلًا في ذريته (ع) حيث نالهم من القتل الكثير عبر مراحل التاريخ المختلفة حتى أصبح القتل لهم عادة، كما قال الإمام زين العابدين بعد استشهاد أبيه وإخوته في كربلاء : (إن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة) ورغم ذلك كله نجد هذه الذرية مباركة ومتواجدة في أغلب بقاع العالم.

وكما هو ملحوظ أيضًا في ما يتعلق بإبداع الأيتام بشكل عام، وتفوقهم في الدارسة وكيف يكون لهم شأن معتبر في المجتمع حين يكبرون، وقد حفظ الله تعالى كنزاً ليتيمين لأن أباهما كان صالحاً وسطر ذلك في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [الكهف : ٨٢] فكيف بأيتام الشهداء ونحن نجد الشعب الفلسطيني شاهداً حياً كيف يقاوم الاحتلال ببركة النسل، وكيف يتنامى المجتمع مع كثرة الشهداء منه.

تساؤلات حول الشهداء

التساؤل الأول: من هم الشهداء؟

الشهداء هم الذين قُتلوا في سبيل الله، وسبيل الله هو الجهاد لتكون كلمته هي العليا، يقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (مَنْ جَاهَدَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ).

وعلى هذا الأساس فشهداؤنا من أبناء الجيش واللجان الشعبية والقبائل الأبية، يواجهون ويقاتلون دفاعًا عن أنفسهم وبلادهم وأهليهم ودينهم وكرامتهم وسيادتهم، ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة أمريكا وإسرائيل والسعودية

والإمارات هي السفلى، ويبذلون أموالهم وأنفسهم، ويقفون ضد العدوان ويواجهون الغزو والاحتلال الأجنبي المسنود من المرتزقة والخونة والعملاء من الداخل، فهم في سبيل الله تعالى لقوله سبحانه: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة : ١٩٤] وقوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة : ١٩٠] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [الشورى : ٣٩] ولقول رسول الله: (مَنْ قَاتَلَ دُونَ مَالِهِ مَظْلُوماً فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قَاتَلَ دُونَ نَفْسِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قَاتَلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قَاتَلَ دُونَ جَارِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَكُلُّ قَتِيلٍ فِي جَنْبِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ).

الشهداء كانوا مجاهدين ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾

الشهداء من زاوية أخرى - وهي نقطة مهمة يغفل عنها الكثيرون - كانوا مجاهدين أحياء معنا في الدنيا ثم قاموا بواجبهم فاستشهدوا، ولهذا يجب الاهتمام بهم قبل استشهادهم.

أما بعد استشهادهم فلا يحتاجون شخصيًا لأحد، ومن هذا المنطلق يجب علينا أفرادًا ومجتمعات وحكومة الاهتمام بالمجاهدين وبالجرحى وبموضوع الأسرى ،ودعمهم والانفاق في سبيل الله حتى تتوفر حاجتهم في الجبهات، والاهتمام بأسرهم حتى لا تشغلهم حاجة أهاليهم ومتطلباتهم عن الجهاد.

فالله تعالى جمع الشهداء والمجاهدين في آية واحدة ووصفهم بقوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[الأحزاب:٢٣] فلماذا ينحصر الاهتمام بمن ليس بحاجة إلينا وهم من قضوا نحبهم؛ ولا نهتم بمن ينتظر، أليس خللاً أو تقصيراً أن ننتظر نحن حتى

يقضوا نحبهم حتى نهتم بهم؟

وقد حدث أن مجاهدًا كان مرابطًا في أحد الجزر على الساحل في البحر الأحمر، وكان رفاقه يحثونه على الرباط وكانت أسرته فقيرة جدًا، ودائمًا ما كانت تتواصل معه تلفونيًا بأنهم يحتاجون مصاريف ومواد غذائية، ولم يستجز ترك موقعه ويعود للنظر في حاجاتهم أو العمل للكسب الحلال لإعالتهم فزاد الضغط عليه، ولم يتحمل الوضع فدخل في حالة نفسية، فعلى الجميع الالتفات لمثل هذه الأمور ولنتأمل جيدًا في دعاء الإمام زين العابدين لأهل الثغور في هذا المقطع منه: (اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا مُسْلِم خَلَفَ غَازِياً أَوْ مُرَابِطاً فِي دَارِهِ أَوْ تَعَهَّدَ خَالِفِيْهِ فِيْ غَيْبَتِهِ، أَوْ أَعَانَهُ بِطَائِفَة مِنْ مَالِهِ، أَوْ أَمَدَّهُ بِعِتَاد، أَوْ شَحَذَهُ عَلَى جِهَاد، أَوْ أَتْبَعَهُ فِي وَجْهِهِ دَعْوَةً، أَوْ رَعَى لَهُ مِنْ وَرَآئِهِ حُرْمَةً. فَأَجْرِ لَهُ مِثْلَ أَجْرِهِ وَزْناً بِوَزْن وَمِثْلاً بِمِثْل وَعَوِّضْهُ مِنْ فِعْلِهِ عِوَضاً حَاضِراً يَتَعَجَّلُ بِهِ نَفْعَ مَا قَدَّمَ، وَسُرُورَ مَا أَتَى به، إلَى أَنْ يَنْتَهِيَ بِهِ الْوَقْتُ إلَى مَا أَجْرَيْتَ لَهُ مِنْ فَضْلِكَ، وَأَعْدَدْتَ لَهُ مِنْ كَرَامَتِكَ).

كذلك يتعرض المجاهدون للكثير من الانتقاد على بعض الأخطاء البسيطة، ويُسلّط البعض ألسنتهم عليهم ويكررون الإساءات إليهم، وهذا البعض من أصحاب النقد والاساءات غالبًا ما يكونون من القاعدين والمرجفين والجبناء.

وكم سمعنا عن فلان المجاهد أنه فاسد وأنه أخذ كذا وفعل كذا، وبعد فترة وجيزة وإذا بنا نشيعه شهيدًا قد قضى نحبه في سبيل الله، ليتبين زيف تلك الافتراءات وفداحة الجرم الذي يرتكبه من يشيعها ويتداولها في حقهم.

التساؤل الثاني: ما الذي حرك الشهداء؟

لقد حركهم ثلاثة أمور:

الأول: القرآن الكريم حين دعاهم الله تعالى فيه إلى التحرك الجهادي في مواجهة أي اعتداء كقوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وغيرها من الآيات الكثيرة، لأنهم من أكثر الناس إيمانًا بالله تعالى وتوكلًا عليه وثقة به، وأكثر وأصدق الناس عملاً بالقرآن الكريم، فترجموا تلك الآيات وجسدوها على أرض الواقع في جبهات القتال وميادين الشرف والعزة والبطولة.

والثاني: حركهم ما رأوه من جرائم يندى لها جبين الإنسانية بحق أبناء شعبهم وأمتهم ودينهم، فحركتهم أشلاء الأطفال والنساء المتناثرة، والجثث المتفحمة داخل البيوت وفي أماكن التجمعات، والمجازر الوحشية والفضائع الدموية، التي يرتكبها العدو الأمريكي السعودي ومن تحالف معه من الخونة والمرتزقة والعملاء، لأنهم أصحاب نخوة وإباء وعزة وشرف، فلم يرضوا لأنفسهم أن يشاهدوا كل هذه الجرائم كغيرهم ببرودة أعصاب، وهم الذين كانوا يتألمون حينما كانوا يرون الجرائم الإسرائيلية بحق فلسطين والأمريكية بحق العراق، ويتحرقون شوقًا لنصرة إخوانهم في فلسطين والعراق ضد العدو الإسرائيلي والأمريكي، وطالبوا بفتح باب الجهاد من قبل الدول المجاورة لهما ليتمكنوا من الوصول إليهما، ولمّا لم يحدث ذلك عادوا إلى بيوتهم وأعينهم تفيض من الدمع، كما عاد غيرهم أيضاً ممن يعتبرون أنهم قد قاموا بما يستطيعون ولم يعد عليهم أيَّ تكليف.

وفجأة وعلى حين غرة يتعرض بلدهم اليمن إلى عدوان أجنبي غادر، مسنود بعملاء وخونة ومرتزقة من الداخل بذرائع واهية وسخيفة، فرأوا بأم أعينهم وسمعوا بآذانهم أزيز الطائرات لكن ليس من شاشة التلفاز ولا عبر نشرات الأخبار، وليس في فلسطين أو في العراق بل على أرض الواقع في اليمن، فنهضوا لأنهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ولم يحتاجوا لفتح باب الجهاد ليخرجوا من بلادهم للجهاد في بلد آخر لأن العدو جاء وكسر الباب ودخل إلى البلاد، ولم يكن يفصلهم عن جبهات القتال إلا ساعة زمن بالسيارة أو أقل، فواجهوا وقاتلوا بكل عزة وشجاعة وبأس وإقدام واستبسال، كي لا يتمكن العدو من إهانة أهليهم وأبناء شعبهم ويُغَيّر دينهم، قاتلوا بعد أن نفروا من بيوتهم ومن بين أهلهم وأحبائهم حتى لا يصبحوا إن قعدوا عندهم لاجئين أو نازحين، أو يُقتلوا كالنعاج في قراهم وحاراتهم، نفروا من المساجد حتى لا يكونوا عصاة لله تعالى الذي أمرهم بالنفير من بيوتهم وبيوته على حد سواء إلى جبهات القتال، فكانت أرض الجبهة أفضل عندهم من البيوت ومتاريسهم أفضل من المساجد ومحاريب العبادة.

الثالث: حركتهم القيادة المؤمنة والقدوة التي تدعو إلى مواجهة العدوان وهي في مقدمة الصفوف ومن أكثر الأسر التي قدمت شهداء وبذلت تضحيات، وليست كالقيادات التي عهدها الناس في السابق التي كانت تزج بالناس في حروب ظالمة وتضحي بهم في الوقت الذي وتحافظ على أبنائها يدرسون في الخارج أو تفتح لهم شركات وتضع لهم الأرصدة في البنوك وتشتري لهم الأراضي وتبني لهم الفلل والبيوت.

التساؤل الثالث: لماذا سقط وقُتل الشهداء؟

مع استمرار تساقط الشهداء بشكل يومي على مدى أكثر من عامين من العدوان لا يجوز أن يتعود الناس على هذا الأمر بل يجب أن نتساءل لماذا يسقطون يوميًا؟ لماذا يُقتلون؟

والإجابة عن هذا التساؤل تنقسم إلى قسمين:

الأول: سقط الشهداء وقُتلوا لأن هناك عدوانًا أجنبيًا غادرًا استقطب الكثير من المرتزقة ليقاتلوا معه، فخاضوا ضده معارك شرسة وكبيرة استخدم فيه العدوان أحدث الأسلحة الفتاكة من طائرات حربية وبوارج بحرية وأقمار تجسسيه، فثبتوا أمام كل هذا بإيمانهم وأسلحتهم الشخصية، وكسروا الزحوف واقتحموا مواقع العدو بكل بسالة، ولم يهربوا من الميدان ولم يفروا فتلقوا الرصاص والقذائف والقنابل بأجسادهم حتى لا يتمكن العدو من تحقيق أهدافه الانتقامية.

الثاني: وهو الأهم بالنسبة لنا أنهم وحدهم من تحمّل المسؤولية كاملة، بسبب قعود الكثير ممن لم ينفروا للجهاد ويسندوهم في الجبهات، وسنُسئل يوم القيامة بين يدي الله تعالى عن دماء الشهداء، ليس على أساس أننا مَنْ سفكها بل على أساس أننا تركناهم وحدهم في الميدان، ولم نقاتل معهم جنبًا إلى جنب وكتفًا بكتف ويدًا بيد، ولم نتخذ موقفًا حقيقًا عمليًا جهاديًا مؤثرًا في مواجهة العدوان ومرتزقته وعملائه، ولهذا سنُسئل يوم القيامة من هذا الباب لأنه لو نفر الجميع مرة واحدة لَقَلَّتْ التضحيات ولقلَّ عدد الشهداء ولوصلنا أسرع إلى النصر واختصرنا الثمن والزمن في مواجهة هذا العدوان.

فنسبة المجاهدين قليلة مقارنة بنسبة القاعدين، ولأنهم قليلون لا يدرون أفي هذه الجبهة يقاتلون أم في تلك الجبهة لكسر الزحف عليها؟ أم ينتقلون لصد زحف أكبر في الجبهة الأخرى التي الضغط فيها أشد؟ ولا يوجد زخم بشري جهادي يرابط ويُؤمِّن خلفهم، فتحصل عليهم التفافات معادية وهكذا يتساقطون بسبب تفريط القاعدين، الذين من المُفترض أن المواقع الفارغة والثغرات التي يتسلل منها الأعداء هي مواقعهم، لذلك يتحملون جزءًا من المسؤولية في سقوط الشهداء.

التساؤل الرابع: ما واجبنا ومسؤوليتنا نحو الشهداء؟

يتبادر إلى الذهن الاهتمام بأسر وعوائل الشهداء، وهذا فعلًا من أهم الواجبات، فالشهداء أحسنوا إلينا فكيف لا نحسن إلى أسرهم والله تعالى يقول: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]

ولكن هناك واجب آخر ومسؤولية مهمة نحو الشهداء، وهي أن نتعلم منهم وأن نعيش القضية التي عاشوها، وأن نقوم بالدور الذي قاموا به وتركوه باستشهادهم، فمسؤوليتنا هي أن نملأ كل المواقع التي كان يشغلها الشهداء، وأن نتأهل عسكريًا حتى نكون خير خلف لخير سلف، ولا ينبغي أن يقتصر دورنا على حضور تشييعهم وعزائهم، وقراءة الفاتحة إلى أرواحهم والترحم عليهم والدعاء لهم، ونتذكر مناقبهم ثم ننتظر حتى يسقط شهيد آخر، ونعيد الكرة مرة أخرى ونقوم بنفس الدور وهكذا دواليك.

التساؤل الخامس: الشهداء شهداء على مَنْ؟

- الشهداء يشهدون على هوان وضعف الباطل، رغم ما يمتلك من امكانات

عسكرية واقتصادية واعلامية وسياسية، وزخم بشري هائل وتطور كبير وسيطرة على مستوى العالم، فقد أسقط الشهداء كل ذلك تحت أقدامهم، وأفقدوا الأسلحة الحديثة من طائرات وغيرها فاعليتها، حيث لم يعد لها تأثير كبير على مسار المعارك بفضل ثباتهم وعظيم إيمانهم.

- ويشهدون على قوة الحق رغم قلة عدد أهله وقلة إمكاناته، فقد أقاموا الحجة على كل من يقول أننا ضعفاء، ولا يمكننا فعل شيء أمام القوى العظمى وامبراطوريات المال الخليجية.

- ويشهدون على بطلان اعتقاد وشعور بقية أبناء الشعب اليمني والأمة العربية والإسلامية بعدم إمكانية مواجهة القوى العظمى، وذلك من حيث أن قلة من المجاهدين اليمنيين المعتمدين على الله صنعوا كل هذه الانتصارات بفضل الله تعالى، وصمدوا كل هذا الصمود الأسطوري في وجه أعتى عدوان وأقوى الدول، ورغم وجود المرجفين والمتآمرين في مناطق سيطرتهم، ووجود الكثير من الخونة والعملاء والمرتزقة من الداخل، ورغم خذلان من لم يتآمر من إخوانهم وأشقاءهم العرب والمسلمين، فكيف سيكون الحال لو لم يكن هناك مرتزقة ولا عملاء ولا مرجفين من الداخل اليمني؟ وكيف سيكون المستقبل لو التف العرب والمسلمون حول دينهم وقرآنهم وواجهوا أعداءهم كما واجههم المجاهدون؟

- ويشهدون على سقوط معاذير كل القاعدين وأصحاب التبريرات وأدعياء الحياد، وأنه لا عذر لأيّ أحد ممن لديه القدرة على حمل السلاح والقتال والجهاد في سبيل الله، وما يمكن أن يقدمه أي أحد من الأعذار فهو ساقط قد فَنَّدَهُ الشهداء بدمائهم الزكية ومواقفهم العظيمة وجهادهم المقدس، فمن يقول لن يجاهد

لأن لديه أولاد فالشهداء لهم أولاد أكثر، ومن يقول أن لديه مشاغل فقد كانت للشهداء مشاغل أكثر، ومن يقول أنه فقير فمن الشهداء من هو أفقر، ومن يقول أنه لديه مشاكل فمن الشهداء من كان لديه مشاكل أكثر، فهم حجج الله على الباقين وما ينطبق على الشهداء ينطبق على المجاهدين، فلم يعد لدينا أي عذر لأن الذي حرك الشهداء ودفعهم هو القرآن الكريم والتوجيه الإلهي من بيننا، فسيسألنا الله تعالى يوم القيامة ويحاسبنا لماذا لم نقم بواجبنا ونجاهد كما جاهد المجاهدون والشهداء؟ وكلما اعتذرنا سيحتج علينا بالشهداء والمجاهدين، ثم ما الفرق بيننا وبين الشهداء والمجاهدين؟ ألسنا رجالاً كما هم رجال؟ أليست لدينا عزة كما لهم؟ ماذا ننتظر حتى يستشهد بقية المجاهدين فيدخل العدو إلينا وينتهك العرض أمام الأعين، ونحن عاجزون لا نستطيع تحريك ساكن وتملؤنا الحسرة والندامة؟ وكم سنشعر بوضاعة النفس حين لم نتحرك مع المجاهدين والشهداء أو كما تحركوا.

- يشهدون كذلك على النصر الاستراتيجي القادم بإذن الله تعالى، كونهم مشوا على خط الإيمان الحقيقي فالله تعالى يقول: ﴿كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] والمؤمنون هم من قال الله تعالى فيهم: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] ويقول سبحانه أيضاً عنهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ [التوبة: ١١١].

- كما يشهدون على واحدية مشروع الشهداء في سبيل الله في العالم الإسلامي،

حيث العدو واحد وهو العدو الإسرائيلي والأمريكي ومن تحالف معهم العدو التكفيري، فالقضية في فلسطين ولبنان وسوريا والعراق والبحرين وكل الشعوب العربية والإسلامية المظلومة قضية واحدة وعادلة، ومقدسة وإن اختلف المكان.

- يشهدون على أن مشروع الجهاد في سبيل الله واحد وإن اختلف الزمان، فسبيل الله هو سبيل واحد ممتد منذ زمن الأنبياء وحتى زمن نبينا صلى الله عليه وآله وأهل بيته (ع)، ولو تقدم الزمان بشهدائنا لكانوا شهداء في بدر أو أحد أو صفين أو كربلاء ، ولو تأخر الزمان بشهداء ذلك الزمن الأول لكانوا شهداء في هذا العصر ضد العدو الأمريكي الصهيوني والتكفيري.

- ويشهدون على أن المستقبل لمن يتحرك ويضحي ويواجه قوى الطاغوت والاستكبار حتى تجري عليهم سنة الاستبدال الإلهي في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص : ٥] وقوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة : ٢٤]. وفق الله الجميع إلى القيام بواجب الجهاد ، وحفظ الله المجاهدين ورحم الله الشهداء الأبرار وشفى الجرحى والمصابين، وفك الله الأسرى والمفقودين، ومنَّ على شعب اليمن وكل الشعوب المستضعفة المجاهدة بالنصر والتمكين، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

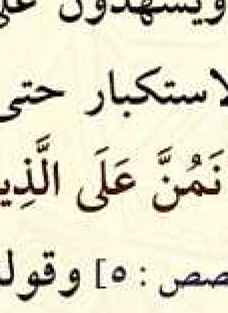

إحدى الحسنيين ١

ثقافة النصر

منشور صادر عن رابطة علماء اليمن

رابطة علماء اليمن